واجبنا الدينى فى هـذا العصر

للدكتور محمد جمال الدين الفندى
أستاذ الطبيعة الجوية بجامعة القاهرة

الاسلام هو الدين الوحيد الذى خاطب العقول • وطالب بأعمال الفكر والوصول الى صوفية الايمان بالله تعالى وكتبه ورسله عن طـريق ما أودع فى الكون من آيات بينات تدل على وجوده ، وكامل قدرته ، ثم عن طريق ما جاء فى القرآن من معجزات ، ومعجزات القرآن لغوية وروحية ، وعلمية ومادية •

وهكذا أراد الله أن يجعل معجزة محمد صلوات الله عليه كتابا من الكتب، وليس أخلد على الارض من كتاب يتلى ، وليس أبقى وأفيد للناس من كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا مبدل لكلماته • كتاب فيه غذاء للروح والنفس والعقل والجسد ، يقرأه الناس فى كل مكان وزمان •

وفى أول الامر أعجز القرآن العرب بفصاحته وبلاغته وحكمته وألفاظه ومعانيه•ولكن لا تمضى فترة تتقدم فيها المعرفة ويسير فيها ركب الانسانية نحو درجات أرفع الا وتكشف القرآن عن معجزات جديدة فى كافة الميادين• فهذه ناحية من نواحى القرآن لا تقف عند حد ، وتلك صفة المعجزة الخالدة

وفى هذا العصر ، عصر الاعجاز العلمى ، نرى القـــرآن يصف بعض حقائق الوجود بدقة علمية وسلامة لا مثيل لها ، فكيف يستطيع بشر أن يفعل هذا ؟ وهل كان محمد صلوات الله عليه عالما من علماء الطبيعة ، أو أستاذا من أساتذة الفلك ، أو علما من أعلام التشريح ، ليصف لنا كيف تثير الرياح الغمام فيخرج المطر من خلاله ، وكيف تســبح الكواكب فى أفلاكها فلا تسقط فى خضم الفضاء ، وكيف ان للخلق بدء ونهاية •• الى غير ذلك من تلك الآيات البينات التى تصف لنا ســنة الله فى خلقه ، وأساليبه فى هذا الوجود ، وهى ما يعبر عنها العلم الحديث باسم القوانين الطبيعية ، أو سنن الطبيعة

كل هذا جاء به نبى أمى منذ عشرات مئات السنين،ولا يمكن أن يصدق هذا كله الا اذا كان ما نطق به وحيا من عند الخالق العظيم •

وما دام القرآن يخاطب العقول الواعية ، ويطلب اعمال الفكر فى كل شىء ، وما دام القرآن يحتوى على جانب من الآيات والحقائق العلمية يضربها كمثل لما يطالبنا بالتفكير فيه ، وكمعجزة يقدمها أو يدخرها لعصر الاعجاز العلمى الذى نحن فيه الآن ، فقد وقع علينا نحن معشر العلماء المسلمين حق اظهار هذه الحقيقة للعالم أجمع • وهذه ناحية يجب أن نأخـــذها فى الاعتبار الاول حتى نكون قد أدينا الواجب ، ووفينـــا الدين والامانة التى

خلفها الرسول الكريم وألقاها على عاتقنا فى هذا العصر .

والاسلام الى جانب ذلك يكمل آدمية الانسان ويعطيه الفرصة لذلك . فهو يطلب منا أن يعبد المرء ربه مختارا ، وأن يقاوم شر نفسه مختارا ،وأن يساعد الضعيف مختارا .. الى غير ذلك من أعمال البر والتقوى

وهكذا أفسح الاسلام الطريق ، وفتح الباب على مصراعيه لكل مجتهد. ولا شك فى أن النفس البشرية تنطوى على نوازع الخير والشر . وانه ليس هناك بشر قد تجرد تماما من نوازع الخير والشر . وليس هناك بشر معصوم من الخطأ . ولكن باب التوبة قد فتحه الله دائما . ولكل مجتهد نصيب .. ولكل مجتهد فى سبيل الكمال مقام .

والانسان المنصف لنفسه ولمجتمعه الذى يعيش فيه هو الذى يستطيع أن يجعل هذه النوازع فى حالة من التوازن ، أو يجعل الخير هو الغاية ، وكل انسان بغريزته محب لمساعدة الضعيف ، وقد منحه الدين فرصة اشباع غريزة الخير هذه

والتشريع الاسلامى يكرم وينمى غرائز الخير فى الانسان ويعطيه فرصة توظيف هذه الغرائز . ما بين الغنى والفقير ، والقوى والضعيف ، والحاكم والمحكوم..وانه لمن الخير للمجتمع أن يوجد فيه عشرة يساعدون الضعيف مختارين عن مجتمع يكلف فيه ألف شخص تكليفا بالمساعدة .

ان المجتمع الاول لجدير باحترامه ، وهو يرتقى عبر السنين ، وتنمو فيه عوامل المحبة ، وتظهر معانى الانسانية والحرية والاجتهاد .

أما المجتمع الثانى فهو جسد بلا روح ، لا يلبث أن تتقوض أركانه ، ولا تظهر فيه معانى الانسانية ، ولا تنمو فيه بنور الحرية .

ويدعو الاسلام أيضا الى البر بالجار والتعاطف والتآخى بين أفراد المجتمع

وليس هناك أقوى ولا أبلغ من الاسلام فى هذا الصدد ، ويروى أن جبريل ظل يوصى رسولنا صلوات الله وسلامه عليه بالجار حتى ظن الرسول ان الله سبحانه وتعالى سيورثه

وليس هناك ديمقراطية أبلغ مما فى الاسلام فقد أمر بالشورى وجعل كل فرد مسئولا عن نفسه ، وعن المجتمع الذى يعيش فيه

والحق ان أعرق الدول الاوروبية فى الديمقراطية لم تبلغ للآن ما بلغته الدولة الاسلامية فى عهدها الاول . فقد طلب أبو بكر رضوان الله عليه من الناس فى مؤتمر عام . وقد لمس اخلاصهم وايمانهم أن يبدوا رأيهم فى كل ما يفعل . وأن يردوه اذا حاد عن الطريق المستقيم ولو بحد السيف .

ان مثل هذا المجتمع الحر الفاضل المؤمن هو هو خير ما أخرج للناس

قوم آمنوا بربهم ، ووثقوا بحاكمهم ، وأخلصوا ضمائرهم وشحذوا هممهم وطهروا قلوبهم ، واستهدفوا الانسانية والخير والحق فى حياتهم .

لقد أظهروا اعجاز كتابهم . وذلك واجبنا الدينى فى هذا العصر ..

محمد جمال الدين الفندى
أستاذ الطبيعة الجوية بجامعة القاهرة